

المرأة في «المنوى» لجلال الدين الرومي

جميلة كديورا^١

تاريخ القبول: ١٤٢٧/١٠/٢٧

تاريخ الوصول: ١٤٢٧/٤/٩

بالرغم من النظرة المتسامية التي أطل بها جلال الدين الرومي على المرأة سواء في حياته العائلية (حيال الزوجة، والبنت، وزوجة الابن) أو في الحيز الاجتماعي، وعلى الرغم من اشعاره الكثيرة الزاخرة بالاماحات والنقاط العميقة حول المرأة (زوجة، معشوقة، أمًا) في سفره الكبير (المنوي)، إلا أن بالمستطاع أن نلاحظ الى جانب كل ذلك حكايات واييات لاتلائم مع اسلوبه في الحياة العائلية، ولا مع شطر من نتاجه الشعري. وبالنظر الى أن القران والحديث الشريف مصدران اساسيان من مصادر الالهام الشعري عند الرومي، يلوح أن الاشعار المذكورة تتسق مع الاحاديث والروايات التي استترت تدريجياً في مطاوي الأعراف التي سادت عصره، اكثر من استلهاها القرآن الكريم أو تناغمها مع آياته.

المفردات الرئيسية: المرأة، جنسها وماهيتها، النفس، العقل، المكر، الهبوط، المشورة، الجهاد الاكبر، الشر.

١. عضو الهيئة العلمية في جامعة الزهراء طهران، kadivar@maktuob.net

المقدمة

القرآن والحديث معينان رئيسان للمنجز الشعري عند جلال الدين الرومي. فالكثير من حكاياته مقتبسة من مضامين قرآنية وحديثية، كما إن الألفاظ والتعابير المستفاد من القرآن والحديث في المتنوي ماثورة فيه بغزارة كبيرة الى درجة صارت معها من السمات البارزة لأسلوب المتنوي¹.

لامراء أن الرومي استمد البناء العام للمتنوي من القرآن الكريم، واقام سفره الخالد على اساس «القصة» و«الحكاية» فهو يحذو حذو القرآن في ادراج قصص عرضية داخل ثنايا القصص التي يسردها، مضافاً الى صراحته البالغة في التعبير عن تصورات وانطباعاته حول القصص ومنحاه في الاعتبار منها.

سجل الرومي في المتنوي حكايا واشعار عديدة بشأن المرأة، فقد كانت «المرأة» مضموناً اساسياً لكثير من اشعاره. وربما اتيح القول أن القيمة، الحاسمة، للرومي كأحد عمالقة الشعر والأدب والثقافة الايرانية، لا تحول دون توجيه النقد والاستفهام حول فهمه لسنتي الأمور والقضايا، ومنها قضية المرأة.

الذي نحاوله في هذه العجالة، هو الاجابة عن تساؤل أساسي يتلخص بمايلي: ما هي طبيعة نظرة الرومي للمرأة؟ وما هي الينايع التي إستلهم منها رؤيته هذه؟ وبكلمة ثانية: لو طالعنا اشعاره التي اشار فيها الى المرأة بنحو مباشر أو غير مباشر، فما هي الصورة التي سنخرج بها للمرأة؟ وما هي العوامل الفاعلة في رسم ملامح هذه الصورة؟ هل هي الثقافة القرآنية التي تشبع بها الرومي أم خبرته في الاحاديث (سواء الصحيح منها أو الموضوع)؟ أم أن الرومي صور في نتاجه الشعري الرؤية التي سادت عصره باعتباره صوفياً أو فقيهاً أو متكلماً أو في

احسن الاحوال شاعراً له تصورات المرتكزة الى عرف الزمن.

يذكر الرومي المرأة كراراً في ستة «كتب» من المتنوي إما بوصفها زوجة، أو أمّاً، أو جاريةً، أو خلية. ومن ذلك يمكن الاشارة الى قصص من قبيل قصة حب الملك لأحدى الجوارى، والاعرابي الدرويش والخليفة، واختيار الملك زوجة لابنه خوفاً على انقطاع نسله، وحكاية المرأة وعشيقها وشجرة الكمثرى وقصة المرأة التي كانت تأكل اللحم خفية عن زوجها وتسب ذلك للقطعة، وقصة الخاتون وجارتها، والصوفي الذي شاهد زوجته مع رجل آخر و... الخ، وغيرها من الحكايا التي تشكل فيها المرأة ركناً رئيساً وعنصراً فاعلاً.

وبالطبع فإن للمرأة في المتنوي (سواء كانت صورتها ايجابية أم سلبية) حضوراً أوسع مما ألحنا اليه، ومثال ذلك الاشعار ذات الصلة بمشاهير النساء كحواء، وبلقيس (ملكة سبأ) ومريم، وآسيا، وحليمة، وعائشة، وزوجة نوح، وزليخا، وليلي و...

وبهذا يمكن القول أن للمرأة في المتنوي إسهامها البارز المؤثر، أي أن مشاركتها ليست من النوع الهامشي المنفعل. ثمّة طبعاً ادواراً ايجابية محمودة للمرأة من قبيل:

الف - حواء

چون بی یسکن الیهاش آفرید

کی تواند آدم از حواً برید؟

إذا كان الله قد خلق حواء ليسكن اليها آدم،

فأتى له أن يهجرها ويصبر على فراقها؟²

ب - بلقيس

رحمت صد تو بر آن بلقيس باد

که خدایش عقل صد مرده بدار

ب - زوجة نوح (التي نجحت حيلتها ضد دعوة نوح فلم يستجب له الناس...):

نوح چون برتابه بريان ساختی

و اهله برتابه سنگ انداختی

مکر زن بر کار او چیره شدی

آب صاف و غط و تیره شدی

نوح یقلى الطعام بالمقلاة، و واهلة تذف المقلاة بالاحجار.

تغلب مکر المرأة على سعيه وأصبح ماءه النقي عكراً^٩

ج - زليخا

روح را از عرش آرد در حطيم

لاجرم كيد زنان باشد عظيم

يستنزل الروح من العرش الى الحطام، إن كيد النساء عظيم بلاشك.^٩

ما نرمي اليه في هذه السطور لا يتلخص في تسليط الضوء على رؤية الرومي للنساء الشهيرات في التاريخ ممن ترکن عن انفسهن انطباعات ايجابية أو سلبية^{١٠}، انما هو محاولة استخلاص رؤيته للمرأة كجنس و كماهية، أي المرأة بما هي امرأة. وبتعبير آخر، نسعى عبر اشعار الرومي في المثنوي، الى تشخيص واضح لرؤيته بشأن المرأة و رسم ملامح و خصوصيات هذه الرؤية بنحو دقيق و من ثم العودة للإجابة عن السؤال الأول: ما هي اصول هذه الرؤية و جذورها؟ القرآن، أم الحديث أم عرف الزمن أم...؟

رغم الاستهلال الرائع للمثنوي، حيث يسرد الناي هموم الفراق و احزانه، و مساواة الشاعر هناك بين المرأة و الرجل في البيت المعروف:

کز نيستان تا مرا بريده اند

از نغيرم مرد و زن نالیده اند

رحمة الله على بلقيس مائة مرة، تلك التي حباها ربها عقل مائة رجل^{١١}.

ج - عائشة

آنکه عالم بنده گفتنش بدي

كلميني يا حميرا مي زدي

ذاك الذي كان العالم عبداً لأقواله، ما انفك يردد: كلميني يا حميراء.^{١٢}

د - معشوقة تفتت بعاشقها

كى رسد همجو توبى را كز مي

امتحان همجو من يارى كنى

أتى لملك أن يستعين بضعيفة مثلي^{١٣}

ه - ليلي

گفت ليلي را خليفه كان توبى

کز تو مجنون شد پریشان و غوى

از دگر خوبان تو افزون نيستى

گفت خامش چون تو مجنون نيستى

قال الخليفة لليلي أنت التي هام بها المجنون و غوى؟

لست أجمل من باقي الجميلات، فقالت له اسكت، انما تقول هذا لأنك لست مجنوناً و هنالك ادوارها السلبية الذميمة مثل: الف - أول جريمة قتل ارتكبتها الانسان كانت بسبب امرأة:

اولين خون در جهان ظلم و داد

از كف قابيل بمر زن فتاد

اول - دم سال في عالم الظلم و العدل، كان على يد قابيل من أجل امرأة.^{١٤}

فيها وكانت بمتزلة بيته وسكنه - ابناؤه، واحفاده وزوجات ابناؤه ممن كان يجدُّ شخصياً في تعليمهم وتربيتهم، محاولاً زرع المفاهيم العرفانية لطريقته الصوفية في هذا الكيان الصغير ليجعل منه أئمة جالعه المثلالي المرتجى.^{١٦}

وحيثما «وقعت وحشة بين بهاءالدين ولد (نجمل الرومي) وزوجته، انحاز الرومي في وقت ما الى زوجة ابنه وروح عنها بكلمات ودية قائلاً اذا كان بهاءالدين قد آذاك فسيستحق مني أن استأصل حبه من قلبي ولا أرد حتى على سلامه ولن يحق له أن يحضر جنازتي.»^{١٧}

«ايها العريس ما هذه الفتاة الا امانة الله ووديعة الرحمن، احفظها ولا تسوء إليها، فقد أوصى النبي الاكرم في خطبة حجة الوداع الرجال بحسن السلوك مع النساء.»^{١٨}

وفي أول حكاياته (وقوع الملك في غرام الجارية) التي «تعبّر عن حالنا وحقيقته»^{١٩}، تتجاوز الجارية (المرأة) الحب المجازي (حب تاجر الذهب) لترتقي بمعونة الطبيب الغيبي الى الحب الالهي (الذي يمكن القول أن الملك هو الذي يمثله في هذه القصة). وثمة آراء متعددة ومتباينة ذهب اليها شراح الثنوي في تفسيرهم لهذه القصة.^{٢٠}

وبالمستطاع القول في تحليل هذه الحكاية أن الجارية رغم غضها الطرف عن الحب المجازي وزوال هيامها بتاجر الذهب، إلا أنها من زاوية ما انسانية منفعة وأسيرة للظواهر. فحبها للتاجر يخبو بصيصه حينما تراه يتضوّر من الألم، لذلك يرى الرومي أن حبها كانه من فصيلة الحب الظاهري السطحي الذي لن تكون نتيجته بالتالي سوى العار. الجارية في هذه القصة، وطبعاً لهذه الرؤية، انسانية منفعة يقرر لها الآخرون، فكما رآها الملك وإشترها، يقتل الطبيب

حينما اقتطعوني من مزرعة القصب، ضجّ كل رجل و امرأة لضجيجي وصرخي.^{١١}
أو التأكيد على تساوي المرأة و الرجل في الحياة المشتركة:

جفت ما بي، جفت بايد هم صفت

تا برآيد كارها با مصلحت

گر یکی كفش از دو، تنگ آيد به پا

هر دو جفتش كار نايد مر ترا

لا بد للزوج أن تنسجم صفاته مع الزوج حتى

تيسر الامور وفقاً للمصالح.

اذا اضاقت فردة الحذاء على قدم صاحبها، فلن

ينتفع بأي من الفردتين.^{١٢}

أو هذا البيت المتألق من دفتر الأول:

پرتو حق است آن، معشوق نيست

خالق است آن گوئيا مخلوق نيست

شعاع من نورالله هذه وليست معشوقة، كما

هي الخالق وليست مخلوقة.^{١٣}

حيث يعتبر فيه المرأة شعاعاً من اشعاعات الحق

تعالى وليست مجرد معشوقة للرجل.

و يقول في ذم استخدام العنف ضد النساء:^{١٤}

باز برزن، جاهلان غالب شونند

ز آنکه ايشان تُند و بس خيره روند

ينتصر الجهلاء على النساء، لأن فيهم فظاظة ولا

ابالية.^{١٥}

أو دراسة حياة الرومي - الذي عاش زمناً تلخصت

فيه قيمة المرأة بكونها إحدى سجينات الحرم - وما

يؤثر عنه من تكريم واحترام للنساء داخل عائلته و

مراعاة لاحوالهن وظروفهن، وهو ما وردت به كثير

من الاخبار في الكتب، ومن ذلك قولهم:

«كان للرومي حياة عائلية نزيهة يسودها السلام

و الوئام. إذ كان يحيطه في المدرسة - التي عاش

ولمعاودة هذا الرأي في مكر المرأة وانه أعنى حتى من مكر ابليس، يستشهد البعض بالآية ٧ من سورة النساء التي تصف كيد الشيطان بأنه ضعيف^{٢٤}، ويقارنها بالآية ٢٨ من سورة يوسف التي تقرر أن كيد النساء عظيم.^{٢٥، ٢٦}

والواقع ان هذه الفكرة تتكرر في العديد من ابيات المثنوي وحكاياته. فمثلاً يذكر الرومي على لسان يوسف العقيدة السارية التي تقول أن مكر النساء وكيدهن هو سبب الهبوط والتردي، فكما هبط هذا الكيد بآدم من الجنة الى الأرض، يستطيع كذلك أن يهبط بالروح من العرش الى الحطام، ولم يكن سبب نكبة يوسف من بدايتها حتى نهايتها سوى المرأة:

يوسفم در حبس تو اي شه نشان

هين ز دستان زانم وارهمان
ازسوى عرشى كه بودم مربوط او

شهوتم مادر فكندم كه اهبطوا
پس فتادم زان كمال مستم

از من زالى به زندان رحم
روح را از عرش آرد در حطيم

لاجرم كيد زنان باشد عظيم
اول و آخر هبوط من ز زن

چون كه بودم روح و چون گشتم بدن
بشنو اين زارى يوسف در عثار

يا بر آن يعقوب بى دل رحم آر
نالاه از اخوان كنم يا از زنان

كه فكندم چو آدم از جنان
انا يوسف في سحنك ايها الملك، فخلصني من

كيد النساء ومكرهن.^{٢٧}
شهوتم امي اسقطني عن العرش الذي كنت

مشدوداً اليه، فقيل لنا هبطو...

الاهي عشيقها... والملك هنا هو رمز الشخصية الفاعلة صاحبة القرار التي تبحث عن الآلام و العلاجات الظاهرية والباطنية على السواء في مواجهة المشكلة المداهمة. بينما الجارية انسانية انفعالية تنتظر أن يتخذ الآخرون لها قرارها^{٢٨}

وهكذا حينما نتمعق في اشعار المثنوي وصولاً الى صورة واضحة ومميزة لماهية «المرأة» من منظور الرومي، لن نحصل بطبيعة الحال على صورة ايجابية محمودة. وفيما يلي بعض الاضواء على هذه الفكرة ارتكازاً الى ابيات ذات صلة:

١- المرأة، مكرها و دورها في هبوط آدم الى الأرض

الدور الذي لعبته «حواء» في اغواء «آدم» وهبوطه من الجنة باصرارها عليه أن يأكل من الثمرة المحرمة و استجابة آدم لهذا الالحاح، من الأمور التي يكثر الرومي التطرق اليها في المثنوي الكبير. فالثية التي يعجز ابليس عن تحقيقها، تفرضاها حواء على آدم بكل سهولة. ويبرز هذا الدور الماكر بنحو واضح في أشعار الرومي حول المرأة موحياً بأن المكر هو السمة الرئيسة عند النساء.

چند با آدم بليس افسانه كرد

چون حوا گفتش بخور آنگاه خورد
كم حاول ابليس أن يسحر آدم و يغويه، لكنه كل حينما قالت له حواء كل.^{٢٩}

يقول الدكتور جعفر شهيدى تعليقاً على هذه الابيات: «النتيجة التي يروم الخلوص اليها في هذه القصة لا سيما الابيات الاخيره هي ان شيطان النفس يسعي دوماً لايقاعنا في شراره والحياد بنا عن طريق الصواب. و اشد مكائده و مصايده تأثيراً هو جمال المرأة... يظهر من هذه الابيات ان الضلال الذي تسببه المرأة اشد تأثيراً من ذلك الذي يسببه ابليس»^{٣٠}

فهبطتُ انا الضعيف من ذلك الكمال المكمّل^{٢٨} الى سجن الرحم.

كيد النسوة يهبط بالروح من العرش الى الخطام^{٢٩}، انه كان كيداً عظيماً.

هبوطي الاول و الآخر بسبب المرأة^{٣٠}، حينما كنتُ روحاً وحيناً صرتُ جسداً.

إسمع عويل يوسف في العثار، أم ترحم على يعقوب الكاثل.

هل أئنُّ من اخواني أم من النسوة، اللاتي هبطن بي من الجنة كآدم^{٣١}.

ولكن بالنظر لصريح الآيات القرآنية:

الف - وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكُلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* فازلّهما الشيطان عنها فاحرجهما مما كانا فيها وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الارض مستقر ومتاعٌ الى حين^{٣٢}.

ب - فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوءتهما وقال ماهاكُمَا ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين* فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربّهما الم اهكما عن تكلمنا الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدوٌ مبين^{٣٣}. يتضح جلياً أن الشيطان (ابليس) هو الذي أضل آدم وحواء ووسوس لهما على السواء (فازلّهما، فوسوس لهما الشيطان).

ورغم كل هذا، لا بد أن نسأل ماهي جذور هذا الضرب من التفكير الذي نطالعه في شعر الرومي حتى على لسان يوسف؟

في الكتاب المقدس ايضاحات مفصلة بشأن دور حواء (المرأة) في الأكل من الثمرة المحرمة. ولأجل استيعاب

الفكرة بنحو تام نراجع هنا ما جاء في الكتاب المقدس:

«وكانت الحية أحيلى جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه و لا تمسّاه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تفتتح اعينكما و تكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وانها بمجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها ايضاً معها فأكل فانفتحت اعينهما وعلما أنّهما عريانان، فخاطا أوراق تين و صنعوا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الاله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فأختبأ آدم وأمرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الاله آدم وقال له اين انت؟ فقال سمعتُ صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فأختبأت، فقال من أعلمك انك عريان، هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها؟ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية غرّبتني فأكلت...»^{٣٤}

النقطة المهمة في هذا القصة هي المستوى الساذج لتفكير حواء و تأثرها السريع بالجمال الظاهري.

وبذا يتجلى أن المرأة بحسب سفر التكوين من الكتاب المقدس خضعت لاختداع ابليس، ثم خدعت آدم، بينما يقرر القرآن الكريم أن آدم وحواء قد زلّا كلاهما، وهذا ما يتيح لنا الاستنتاج بأن اشعار الرومي في رواية هذه القصة لم تقتبس من القرآن:

والموائد والجاه (حاجات الخانقاه) بينما الرجل هو رمز العقل والادراك ولا شاغل له ولباله سوى خالقه. ويعتبر الرومي في موضع من القصة أن جدال الاعرابي مع زوجته صورة لحال الانسان الذي تصطرع في داخله دوماً جيوش النفس والعقل.

ماجرى مرد و زن افتاد نقل

آن مثال نفس خود می دان و عقل

این زن و مردی که نفس است و خرد

نیک بایسته ست بمر نیک و بد

وین دو بایسته در این خاکی سرا

روز و شب در جنگ و اندر ماجرا

زن همی خواهد حویج خانقاه

یعنی آب رو و نان و خوان و جاه

نفس همچون زن پی چاره گری

گاه خاکی گاه جوید سروری

عقل خود زین فکرها آگاه نیست

در دماغش جز غم الله نیست

رویتُ لك حكاية الرجل والمرأة، فاعتبرها مثلاً

لعلاقة النفس بالعقل.

المرأة والرجل وما هما إلا النفس و العقل،

ضروريان جداً لظهورالحسن والقبح.

وهما في هذه الدار الدنيا لا يفتان يتحاربان ليل نهار.

فالمرأة ما تفعل تطالب بحاجات الخانقاه، وهو

الصيت والخبز والموائد والجاه.

النفس كالمراة تلهث دوماً وراء الدنيا، تطلب

حطام الدنيا تارةً وتارةً تطلب السيادة والسلطان.

أما العقل فلا شأن له بمثل هذه الهواجس، انه

لا يفكر بسوى الله خالقه.³⁹

يكتب المرحوم فروزانفر ايضاحاً لهذه الايات: «يقول ان

قصة الرجل و المرأة والحوار بينهما رمز للصراع بين النفس

والعقل فهما من مصدرين مختلفين وغريبين عن بعضهما،

چند با آدم بلیس افسانه کرد

چون هوا گفتش بخور آنگاه خورد

کم حاول ابليس أن يسحر آدم ويغويه، لكنه

أكل حينما قالت له حواء كل.³⁵

۲- المرأة رمز لهوى النفس

اشار الرومي في قصة الاعرابي والخليفة الى العديد من الأفكار والموضوعات المهمة، الى درجة أن القارئ قد يتعد أحياناً عن الفكرة الرئيسية ويفلت زمامها، وقد يواجه أفكاراً متناقضة أحياناً، ومن ذلك «مطالعة اراء متباينة حول المرأة والرجل. يعتقد الرومي ان معيار الانسانية وصفاء الروح يتبلور في اطاعة المرأة، ومعيار التوحش الطبيعي، هو الانتصار على المرأة وايدائها. كما ان المرأة رمز للنفس واهوائها والاعرابي رمز للعقل»³⁶.

بالطبع، يبقى ثمة مجال للتساؤل: كيف يمكن معالجة هذا التناقض؟ فالمرأة التي ترمز لأهواء النفس على النحو الذي سنفصل فيه لاحقاً، كيف يصح أن تكون طاعتها معياراً للانسانية؟

وبعبارة اخرى، كيف يتسنى التوفيق بين البيتين التالين وهما من حكاية واحدة:

گفت پیغامبر که زن بر عاقلان

غالب آید سخت و بر صاحب‌دلان

قال الرسول: المرأة تغلب العقلاء واصحاب

القلوب بشدة.³⁷

عقل را شو دادن و زن را حرص و طمع

این دو ظلمانی و منکر، عقل شمع

ما العقل الآ بعل و المرأة الآ الحرص والطمع،

وما هذان الآ ظلام و منکر، بينما العقل كالشمعة.³⁸

يشرح الرومي حوارات الاعرابي وزوجته بشئ من

التفصيل في قصة «الاعرابي والخليفة» فيعتبر المرأة مظهراً

لاهواء النفس واطماعها والمطالبة الدائمة بالماء والخبز

ولكل منهما طريق يسكله غير الطريق الذي يسلكه الآخر. النفس ميالة للمادة والماديات شأنها شأن المرأة، فهي تتحرى الطعام والمجلس والجاه والمال وتسلك هذه الطموحات طريق الخيلة والتدبير. أما العقل الحقيقي فيعشق لقاء الله ويسعى في طريق الطاعة والعبودية والجد وطلب كمال الباطن. ورغم كل هذا التفاوت واليون الشاسع الذان كلاهما ضروري لاستمرار الحياة وقوامها...»^{٤٠}

يقول الدكتور زرین کوب عن هذه القصة أن انشداد المرأة لهذه الدنيا المحدودة، ومحاولتها أن تجعلها شيئاً يمكن أن يطاق، أصابها كما هو الحال بالنسبة للجارية في قصة تاجر الذهب، بنوع من المرض النفسي، والرجل بوصفه مظهرًا للعقل أو الطبيب الالهي يحاول انقاذها من هذا الداء عبر أسلوب النقاش والبراهين.^{٤١}

ورغم ان ظاهر القصة يشير الى حوار جدلي بين المرأة والاعرابي حول شؤونها المعيشية، بيد أن هذه الحكاية في حقيقتها وكما يعبر الرومي نفسه «صورة لحالنا» حيث تتنازع النفس والعقل ليفرض كل منهما رأيه على الآخر.

حاش لله اين حكايت نيست هين

نقدحال ما و توست اين، خوش بين

هم عرب ما هم سبو ما هم ملك

جمله ما يُوفك عنه من أفك

عقل را شو دان و زن را حرص و طمع

اين دو ظلمانی و منکر عقل شمع

حاشی لله أن تكون هذه حكاية، لها صورة

حالي وحالك، فأنعم النظر.

فالاعرابي والابريق والملك من ذات واحدة لا

تجزأ وما يُوفك عنه من أفك

ما العقل الآ البعل و المرأة الآ الحرص والطمع،

وما هذان الآ ظلام ومنكر، بينما العقل

كالشمعة.^{٤٢ و٤٣}

وبكلمة ثانية: «حينما ذكر الاعرابي والمرأة في القصة، تجلّى ان المرادمنهما العقل و النفس، الانسانين و قد مر بنا أن وعاء الماء هو علمونا، والملك (السلطان) هو روحنا وهو من ينوب عن الله عزوجل في الهيمنة على المجتمع البشري، و العقل شمعة مضيئة، بينما النفس حالة منكر ومظلمة...»^{٤٤}

ورغم ذلك يبقى هذا السؤال يلح على الخاطر:

لماذا يعتبر الرومي المرأة تجسيدا للنفس المنكرة الخالكة، والرجل رمزاً للعقل والشمعة المضيئة؟

نقرأ في موضع آخر:

هست مادر نفس و بابا عقل راد

اولش تنگی و آخر صد گشاد

النفس كالأُم والعقل الحازم كالأب، أوله ضيق و

آخره ألف فرج.^{٤٥}

الأم في هذا التشبيه هي النفس الأمارة بالسوء،

و الأب هو العقل والحكمة، فرغم ان العقل قد

يشق على الانسان ويكلفه المتاعب في بداية الأمر، الآ

انه يتسبب بكثير من اليسر والفرج في أطوار تالية.^{٤٦}

أي أن النفس في هذه الايات عادت لتمظهر

على شكل إمراة، بينما يتجسد العقل في صورة الرجل

المذكر.

ويكتب شارح آخر من شراح المثنوي في تفسير

هذا البيت، وشطره الثاني يختلف عن ما جاء في

النسخ الاخرى:

عقل را شو دان و زن اين نفس و طمع

اين دو ظلمانی و منکر عقل و شمع

اعتبر العقل بعلاً والمرأة هذه النفس والطمع،

هذان ظلمة ومنكر، والعقل والشمعة.

«العقل من باب التأويل الانفسي هو الزوج

(البعل)، والنفس هي الزوجة، فهو الحاكم وهي

المحكومة، والتدابير التي يفكر بها العقل كليةً عامة، بينما تدابير الزوجة غالباً ما تكون جزئية. أي أن نفس الانسان وطمعه ظلمة تنكر العقل والسمع، أي لا تستجيب لبراهين العقل ولا لبراهين السمع.^{٤٧} وهكذا يبقى التناقض أو السؤال الذي سجلناه في مستهل هذه الفقرة قائماً كما كان.

فكرة الرومي هذه (المرأة رمز للنفس ولاهوائها، والرجل مظهر للعقل والحكمة) تتطابق مع قصص الخلق التي تشير الى أن الله خلق المرأة من الرجل، إذ أن العقل هو اول مخلوقات الله. «اول ما خلق الله العقل»^{٤٨}

ثم خلقت النفس من العقل، وسمتها الأبرز هي التهافت على الدنيا وعبادة الظواهر. وعليه فالعلاقة بين العقل والنفس هي ذات العلاقة بين الرجل والمرأة. ومن البديهي أن من يعتقد بمثل هذه العلاقة لا بد أن يكون من المتحيزين لفكرة التباين الماهوي بين الرجل والمرأة، وان كان ثمة نساء تعادل الواحدة منهن مئة رجل كما هو الحال بالنسبة بلقيس على حد تعبير الرومي، فأنهن استثناء للقاعدة العامة التي تقول أن المرأة مخلوق منفعل من الدرجة الثانية، وهي مثال للنظرة السطحية، وسرعة الوقوع في شرك الاحاديث، واتباع هوى النفس، وممارسة المكر و الاغواء. فكما ان النفس تخدع عقل الانسان، كذلك المرأة تعمل دوماً على اغواء الرجل بما لها من حيل ومكر.

ولكن بالنظر لآيات من قبيل «يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها»^{٤٩} و «جعل لكم من انفسكم ازواجاً وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة»^{٥٠} و «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين

والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصابرين والذكارين والحافظين فروجهم والحافظات والذكارين الله كثيراً والذَكَراتِ اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً»^{٥١} وغيرها من الآيات التي تجاور بين النساء والرجال المسلمين المؤمنين القانتين والصادقين الصابرين الخاشعين المتصدقين الصائمين الحافظين لفروجهم والذكارين الله كثيراً، بالنظر لمثل هذه الآيات القرآنية، أين يجب أن نتحرى اصول هذه النظرة التي نطالعها لدى جلال الدين الرومي؟

يشير الدكتور زرین كوب بخصوص هذه القصة الى الرواية التالية:

«اتقوا الدنيا و اتقوا النساء فإن ابليس طَّاع رصَّاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده في الاتقياء من النساء»^{٥٢}

٣- مخالفة ما تشير به المرأة

نقرأ للرومي في شعره كثيراً من اللمح لاستشارة النساء. ومثال ذلك ما نجد في البيت التالي:

شاووهن پس آنکه خالفوا

ان من لم يعصهن تالف

شاووهن ثم خالفوهن، فإن من لم يعصهن تالف.^{٥٣}

مع أن الذي يلوح هاهنا من قصد الرومي هو معارضة الهوى ونزعات النفس التي تحيد بالانسان عن جادة الصواب، ولكن نظراً لآيات له اخرى ذات صلة بالموضوع وفيها اشارة الى نفس الحديث المشار اليه في البيت اعلاه، وهي آيات تعد المرأة شراً والنفس الشر بأكملة، يمكن أن نستنتج طبعاً أن المرأة جزء من هذا الشر العام فهي اذن مما يصدق عليه حكم المعارضة والمخالفة.

لقد ورد هذا البيت تنمة لآيات تصف تمرد

«حمار» ونزوعه الى السير في الطريق الذي يشتهي:

يقول المرحوم فروزانفر شرحاً لهذه الايات من دون اشارة الى ابيات الحمار و مشاوراة النساء: «يمثل النفس بأما حمار لانها ميالة الى الشهوات والمطامح الدنيئة الهابطة. والحمار يميل الى العلف والنبات فينحرف عن الطريق. شاوروهون وخالفوهن قول مقتبس من الحديث «شاوروهون...» المنسوب للامام علي(ع) وليس من الصحيح انه للرسول (ص) و «يضللك عن سبيل الله» مقتبس في الآية «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله». المراد أن سبيل الفلاح بمخالفة النفس. للشخص الذي لا يعرف طريق الصواب، ولم يستعن بمن يده على هذا الطريق. مثل هذا الانسان لا سبيل امامه سوى مخالفة النفس...^{٥٦}

وعلى حد تعبير أحد شراح المتنوي «يشير الرومي» في هذا البيت الى النفس الجاهلة الحمقاء الناقصة التي تنزع دوماً بتأثير معه اغراءات الشيطان نحو اهوائها ووساوسها، وما مراده من الحمار هنا الا هذه النفس البشرية.

وقوله «شاوروهون ثم خالفوهن» يندرج ضمن هذا السياق، أي انهن سيذكرن ما تمليه عليهن انفسهن من تصورات وآراء، فيعمل الذي يستشيرهن بخلاف ما يقولن مستهدياً بالأمر ثم خالفوهن «فيبلغ بذلك بر الكمال والصواب، لأن الكمال هو ما خالف النفس ونزعاً عنها».^{٥٧}

النتيجة التي نخلص اليها من هذه الايات هي تشبيه المرأة بالحمار الى جوار مقارنة النفس بالمرأة، وبالتالي الهبوط بشأن الشخصية الانسانية للمرأة الى مستوى حيوان وضيع تافه. وبالمقدور ملاحظة هذه الفكرة التي تصور المرأة حيواناً هادئاً مروضاً على درجة عالية من الصبر والقدرة على حمل الاثقال، بالمقدور ملاحظتها ايضاً في أعمال حكماء ومشاهير آخرين غير الرومي. ومن هؤلاء الحكيم والمفسر الكبير صدرالدين الشيرازي الذي جعل النساء في عداد الحيوانات في

گردن حر گير و سوي راه كش
سوي رهبانان و رهدانان خوش
هين مهل خر را و دست از وي مدار
ز آنکه عشق اوست سوي سبزه زار
گر يکی دم تو به غفلت و اهليش
او رود فرسنگها سوي حشيش
دشمن راه است خر مست علف
اي که بس خر بنده را کرد او تلف
گر توانی ره هر آنچه خر بخواست
عکس آن کن خود بود آن راه راست
امسک عنق الحمار وجره الى الطريق، نحو السراة
والادلاء الطيبين.

لا تترك الحمار ولا تدعه لحاله، لأنه تواق الى المروج الخضراء.

اذا غفلت عنه طرفة عين، فسيتعد عنك فراسخ و فراسخ نحو الحشائش.

الحمار المهووس بالعلف عدو الطريق، وكم من حمار أهلك صاحبه.

إن كنت تجهل الطريق فأفعل عكس ما يريد الحمار وستهتدي سبيل الصواب.^{٥٤}

وبيان آخر: كما ان هذا الحيوان الوضيع في انظار البشر(الحمار) يجب أن لا يترك لحاله، بل ينبغي أن يكون ثمة دائماً دليل وقيم يسلك به طريق الصواب، والأفلى بطبعه نحو الاعلاف والحشائش، كذلك ينبغي الحذر دوماً من اشارات النساء وآرائهن.

يكتب الحاج ملاهادي السبزواري في شرحه البيت «شاوروهون ثم خالفوهن...»: «شاوروهون حديث نبوي حول النساء «شاوروهون وخالفوهن» إن من... نحن لم يخالفهن اتلف عمره، والمراد من الحمار النفس والطبع. اذن فهما يطلبان اشياء متشابهة.^{٥٥}

و يشير الدكتور شهيدى الى قول للامام الصادق (ع) يوحى بالتشاور مع العقلاء والاتقياء و يشير بعد ذلك الى الابيات اللاحقة معتبراً مصدرها الرواية «كان رسول الله (ص) اذا اراد الحرب دعانا فاستشارهن ثم خالفهن» والرسالة ٣١ من نهج البلاغة، ثم يكتب: «ان توظيف الرومي لهذا الحديث باتجاه مخالفة النفس يبدو ملفتاً وجذاباً للغاية».^{٦٢} و يقول الرومي فى ابيات اخرى حول ذات الموضوع:

مشورت در كارها واجب شود
تا پشيماني در آخر كم بود
گفت امت مشورت با كه كنيم
انيبا گفتمند با عقل امام
گفت گر كودك در آيد يا زني
كاو ندارد رأى و عقل روشنى
گفت با او مشورت كن و آنچه گفت
تو خلاف آن كن و در راه افست
نفس خود را زن شناس از زن بتر
ز آنكه زن جزوى ست نفست كل شر
المشورة فى الاعمال والأمر واجبة، ليكون الندم
فى خواتيمها على أيسر ما يمكن. سألت الأمم انبياءها:
من الذي نستشير، فأجاب الانبياء: استشيروا العقل
فقالوا: فإن كان طفلاً أو امرأة، ليس لهما عقل ولا
رأى جلي؟
فأجابوا: استشيروهم وأعملوا بخلاف ما يشيرون
عليكم.

عُدَّ نفسك كالمرأة بل اسوء من المرأة، فالمرأة
جزء من الشرِّ والنفس كل الشرِّ.^{٦٤}
نلاحظ فى الابيات اعلاه نقاطاً عدة تتعلق بالمرأة:

- ١- مساواة المرأة بالطفل.
- ٢- عدم توفرها على عقلٍ ورأى جلي.
- ٣- التوصية بالعمل خلافاً لرأى المرأة وشارتها.

معرض تعداده لفصائل الحيوانات المختلفة وصفاتها ومميزاتها، فبعضها يصلح للأكل، وبعضها للركوب، وبعضها للزينة، وبعضها للحمل، يقول:

وبعضها - يعنى بعض الحيوانات - للنكاح.^{٥٨}
ونقرأ للحاج الملاهادي السبزواري شارح الاسفار: «ادراجه المرأة ضمن الحيوانات، ايماءة لطيفة منه الى أن النساء بسبب ضعف عقولهن، اقرب الى ادراك الجزئيات وأميل الى زخارف الدنيا، لذلك ألحقن بالحيوانات العجماوات. فسلك معظم النساء وسيرتهن تشبه الحيوانات، لكن الله خلع عليهن صورة انسانية لكيلا ينفر الرجال من حبهن و نكاحهن».^{٥٩}

مع ان العلامة الجعفري فى شرحه لهذه الابيات يرى ضرورة تفسير الحديث «شاووهن وخالفوهن» و يكتب: «اذا اصح سند هذا الحديث، فإنه مما لا يمكن قبوله من دون تأويل، فالمرأة طبقاً للمصادر الاسلامية المعتبرة شريكة الرجل فى حياته». ثم يشير الى آيات قرآنية نظير الآية ١٣ من سورة الحجرات التي تساوي صراحةً بين المرأة والرجل، ليثير السؤال: لو كانت مشاورة النساء ممارسة خاطئة، فكيف يستطيع الرجل والمرأة ان يعيشا حياةً مشتركة؟... ثم ان التواريخ الاسلامية المعتبرة تروي بكل صراحة تعاون النساء مع الرجال فى كافة الشؤون الاجتماعية، اضعف الى ذلك ان شهادة المرأة لها اعتبارها من الناحية الفقهية... والشهادة فقيهاً لها استحقاقات اجتماعية مهمة تجعلها اهم بكثير من المشورة، فالحاكم مجبر أن يأخذ بشهادة المرأة و يرتب عليها الآثار. وهذا ما لا يستق مع الحط من مقام المرأة المذكور فى الروايات اعلاه... ما يمكن الخلوص اليه هو ان هذه الرواية وعلى افتراض صحة سندها، تعني نساء ذلك العصر اللواتي خرجن تواءً من الجاهلية ولا تزال نفوسهن مصطبغة بلون العواطف الدينية».^{٦٠}

هذا فى حين يقول الحاج ملاهادي السبزواري فى شرح «اعتبر نفسك امرأة...»: «المرأة جزء من الرجل اشارة الى حواء خلقت من ضلع آدم...»^{٦١}

٤- تشبيه نفس الانسان بالمرأة (أو أسوء من المرأة). ومع أن المرأة تجسّد للنفس الانسانية واهوائها، وهو ما سبق أن أشرنا اليه، إلا أنها تبقى جزءاً من الشر، وما الشر برمته وكله إلا النفس البشرية.^{٦٥} وحيث ان المرأة كالطفل تفتقر للعقل والرأي الواضح، وبما انها جزءمعه النفس (أي جزء من الشر كله)، لذا ينبغي العمل بخلاف ما تشير اليه. بالمستطاع العثور على جذور التوصية بنقض رأي المرأة في الاحاديث المروية عند الرسول والائمة رغم ان دراسات شاملة بخصوص صحة هذه الاحاديث لم تظهر لحد الآن. ولعل من اشهر هذه الاحاديث: «شاووهن فخالقوهن»^{٦٦} والحديث الآخر هو جزء من رسالة الامام علي (ع) للامام الحسن (ع): «واياك ومشاورة النساء فإن رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن...»^{٦٧} واحاديث اخرى حتى لو افترضنا لها صحة السند، فينبغي عدم قراءتها خارج ظروفها الزمانية والمكانية، وعدم تناسي المصاديق المحدودة التي قصدها القائلون. والآن، بالنظر لصريح نص القرآن «وشاووهم في الأمر»^{٦٨} وأمرهم شورى بينهم» التي تومىء الى كافة المسلمين، أو «المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»، أو حتى احاديث اخرى عن الائمة في باب استشارة النساء، منها «إياك ومشاورة النساء إلا من حربت بكمال عقل» أو العبارة التي قالها النبي (ص) جواباً عن السؤال حول المراد من منع طاعة الرجال للنساء: «تطلب منه الذهاب الى حمامات والعرسات والعيادات والتياتحات والثياب الرقاق»^{٦٩} والكثير من النماذج الاخرى، لا يبدو أن الرؤية الدينية الاصلية تعاضد ما ذهب اليه الرومي في اشعاره.

٤- نقصان العقل و ضعف النفس

السمة الأخرى التي يسجلها الرومي في اشعاره للمرأة هي نقصان العقل وضعف النفس. فنراه يقول كما إن حلم الاحمق لاقيمة له ولا اهمية، كذلك حلم المرأة، وذلك أن عقلها ناقص ونفسها ضعيفة.

خواب احمق لايق عقل وى است

همجو او بى قيمت و لا شىء است

خواب زن كمترز خواب مرد دان

از بى نقصان عقل و ضعف جان

علم الأحمق يُلائم عقله، فهو كصاحبه بلاقيمة.

علم المرأة دون علم الرجل، لأنها ناقصة العقل

وضعيفة النفس.^{٦٨}

والقول أن نفس المرأة اقل من نفس الرجل،

تكرار للقول بأن ماهية المرأة ادنى مرتبة من ماهية

الرجل. أي أن جوهر روح المرأة وجوهر روح الرجل

غيرمتساويين في البعد الانساني.

وعليه ليست النساء مخلوقات ادنى و اقل مرتبة

من الرجل في اليقظة وحسب، بل إنهن كذلك حتى

في النوم. ومرد ذلك الى نقص عقولهن وضعف

نفوسهن.

ويؤكد الرومي على نقص عقل الأم في اشعار

اخرى من قبيل قصة اختيار الزوجة للامير:

مادر شهزاده گفت از نقص عمل

شرط كفويت بود در عقل نقل

قالت أم الأمير لنقص عقلها: من شروط الزواج أن

تتزوج من هي كفوالك.^{٦٩}

و يقول في موضع آخر:

آسمان مرد و زمين زن در خرد

هرچه آن انداخت اين مي پرورد

السماء رجل والأرض امرأة في العقل، تربّي هذه

كل ما تقدفه تلك.^{٧٠}

فضل الرجال على النساء ليس بسبب القوة والكسب والاملاك.^{٧٣} والآن لكان الفضل للأسد والفيل على الانسان لما لهما من فضل عليه في القوة. الرجل يفضل المرأة لأنه أكثر نظراً لعواقب الامور وخواتيمها.^{٧٤}

الرجل القاصر عن النظر للعواقب، شأنه شأن النساء في قصورهن عن الناظرين للعواقب.^{٧٥} ورغم ما قيل من أن هذه الايات بمثابة تفسير للآية القرآنية «الرجال قوامون على النساء»^{٧٦}، بيد أن الايات اللاحقة تجيز لنا الشك في صحة مثل هذا الرأي.

يكتب العلامة الجعفري في شرح هذه الايات: «ما نسמע من افضلية الرجال على النساء ليس بسبب قوتهم وقدرتهم على كسب المال والعمل والزراعة، بل لان المرأة تنظر للحال الحاضر، و ينظر الرجل لخواتيم الامور وعواقبها. فالرجل العاجز عن مشاهدة العواقب سيكون بين القادرين على رؤية العواقب كالمرأة التي لا تنظر لسوي الحال و هذا مبدأ دائم ثابت.»^{٧٧}

لقد جاء في القرآن بمنتهى الصراحة «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم»^{٧٨} وهذا يعني أن معيار الفضل بين الناس (من رجال ونساء) ما هو الا التقوى.

٦ - ضعف النساء في الجهاد الاكبر (جهاد النفس)
يرى الرومي أن عدم اسهام النسوة في الحروب والغزوات مؤثر على ضعفهن في ميدان الجهاد الاكبر، بمعنى أن العاجزين عن خوض غمار الجهاد الاصغر لن يستطيعوا من باب اولى المشاركة في الجهاد الاكبر. ليست لايق غزو نفس و مَرْدِ غَرِ
ليست لايق عود و مشك و كون خر

فالسما من الناحة العقلية، كالرجال، والأرض كالنساء، فالقطرة التي ترمي بها السماء تربيتها الارض بطبيعتها... و حسب مغزى البيت اعلاه، السماء هي الفاعلة والأرض منفعله.^{٧٩} ويلوح أن الرومي يشير من خلال مضمون بيته هذا الى قول الامام علي(ع):

«معاشر الناس، إن النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول...»

ملاحظة آيات قرآنية شتى تعتبر الانسان (رجلاً كان أو امرأة) خليفة الله على الارض (إني جاعل في الارض خليفة)^{٨٠} أو الآية ١٤ من سورة المؤمنون حيث يمدح الله نفسه لخلق افضل المخلوقات... (فتبارك الله احسن الخالقين) وآيات مماثلة اخرى، لا يمكن تصنيف مجموعة تعدد «خليفة الله في الارض» أو «احسن الخالقين» و تشمل الرجال والنساء على السواء، لا يمكن تصنيفها على ناقصي العقول.

٥ - قصر النظر وعدم التفكير في العواقب

روى الرومي أن فضل الرجال على النساء لا يعود الى القوى الجسمانية، والآن لكانت الحيوانات القوية كالأسد والفيل خيراً من الانسان. بل ما يُفضل الرجال على المرأة هو الحزم وبعد النظر والتفكير في عواقب الأمور. وهي سمات يعتقد الرومي انها ضئيلة عند النساء.

فضل مردان بر زنان اي بوشجاع

ليست بمرقوت و كسب و ضياع

ور نه شير و پيل را بر آدمي

فضل بودي بمرقوت اي عمي

فضل مردان بر زن اي حالي پرست

زان بود كه مرد پايان بين تراست

مرد كاندر عاقبت بيني خم است

او ز اهل عاقبت چون زن كم است

طوبى لمن كان عقله ذكراً، وكانت نفسه التبيحة انثى مرغمةً.
طوبى لمن كان عقله الجزئي ذكراً غالباً، فالنفس
الانثى تسلب عقل الانسان.

هجوم الانثى هجوم شجاع في ظاهره يبدآن
الضرر الذي يلحقها- شأنها شأن ذلك الحمار- هو
نتيجة جهلها وغبائها.

صفات الحيوانات في المرأة كثيرة، لأنها كثيرة
التزوع الى ظواهر الأمور وسفاسفها.^{٨٢}

يرى الرومي كما ان دخول المرأة الى ساحة
المعركة يؤدي الى اضطراب الساحة والجنود وحلول
الكوارث بهم، كذلك لا تستطيع المرأة دخول ساحة
الجهاد الأكبر بسبب خصائصها وصفاتها الحيوانية
(ومنها النزوع الى ظواهر الأمور واشكالها السطحية)
وغلبة النفس عليها. والرجال بدورهم اذا كانوا ذوي
عقول انثى ونفوس ذكر، بدل أن تكون عقولهم
ذكر ونفوسهم انثى، ليسوا بأحسن حالاً من النساء.
يشير انقروى الى الرواية القائلة «طوبى لمن كان
عقله ذكراً ونفسه انثى، وويل لمن العكس» ناسباً
اياها الى الرسول الاكرم(ص).^{٨٣}

كيف يمكن للبشر (رجالاً كانوا أم اناثاً) المخلوقين
من نفس وحدة بشهادة العديد من الآيات القرآنية،
والمساوين في اساس الخلقة واصلها، وغير المتفاضلين
في الخلقة بأي حال من الاحوال^{٨٤}، وما من قيمة
ايجابية يمكن رصدها في القرآن الا واستغرقت بسعتها
الناس جميعاً^{٨٥}، كيف يمكن أن يُفضل بعضهم بعضاً
في أهم القيم الحياتية أي جهاد النفس المسمى بالجهاد الاكبر؟

النتيجة

يلوح من مجمل ما استعرضناه لحد الآن من المتنوي
لجلال الدين الرومي، وجود طيف متنوع من الآراء
والتصورات حول المرأة تتأرجح ما بين المباركة المطلقة

جون غزا ندهد زنان را هيچ دست
كي دهد آنكه جهاد اكبر است
الغزو لا يليق بالرجل الغر كما العود والمسك لا
يناسب دُبر الحمار.
حينما لا تشارك المرأة في الغزوات فكيف
ستشارك في الجهاد الاكبر.^{٧٩}

ومع ما قيل من أن المراد من المرأة هاهنا ليس
جنس النساء، انما هوكل إنسان ضعيف النفس ذكراً
كانه أو انثى^{٨٠}، بيد أن قرائن الايات السابقة واللاحقة
وغيرها من المقطوعات والاشعار في المتنوي، تتناقض
مع ان يكون هذا الرأي على جانب يؤيه له من
الصحة والإقناع. وهذا ما تعاضده الايات ادناه:

حمله زن در ميان كارزار
نشكند صف بلكه گردد كارزار
واى آن كه عقل او ماده بود
نفس زشتش نر و آماده بود
لاجرم مغلوب باشد عقل او
جز سوى خسران نباشد نقل او
اى خنك آن كس كه عقلش نر بود

نفس زشتش ماده و مضطر بود
عقل جزوى اش نر و غالب بود
نفس انثى را خرد سالب بود
حملة ماده به صورت هم جرى ست
آفت او همچون آن خراز خرى ست
وصف حيوانى بود بر زن فزون

ز آنكه سوى رنگ و بو دارد ركون
هجوم المرأة في ساحة المعركة، لا تحطم صفوف
الاعداء بل تفضي الى الكوارث.^{٨١}

الويل لمن كان عقله انثى، وكانت نفسه التبيحة
ذكراً متوثباً.

سوف يغلب عقله بلاشك، ولن يؤل حاله لسوى الخسران.

وحتى لو كان التصور السائد آنذاك عن المرأة انسانياً يحفظ للمرأة انتماءها الى الجنس البشري الا انه يراها انساناً من الدرجة الثانية. أضف الى ذلك أن الاحاديث والروايات الموضوعية حول المرأة كانت تضيء على تلك النظرة الغالبة طابعاً دينياً ممهدةً الارضية لنشر نمط من الثقافة المعادية للمرأة، ليست لها صلة وطيدة بالافكار «القرآنية».

والنقطة الاخرى هي انه بالرغم من الرؤية الايجابية للرومي حيال المرأة، والتي نجد في سيرته العائلية ما يؤيدها، الا أن الطابع العام لاشعاره ليس ايجابياً بشأن المرأة.

اي انه بسرده بعضى الحكايا التاريخية عن هذه المرأة أو تلك، يمارس تعميم صفاتهن السلبية على سائر النساء مقدماً للمرأة صورة مشوهة وغير لائقة. إذن، حينما يتعلق الأمر بمقارنة جنس المرأة بجنس الرجل، والافصاح عن خصال كل واحد منهما، تصنف المرأة على الدرجة الثانية والجنس المنفعل الذي يجب ان يُتخذ له القرار لأنه ناقص العقل، ومكار، ومثال لأهواء النفس، وجزء من الشر في العالم.

الهوامش

١. عبدالحسين زرین کوب، بحر فی کوز (طهران، علمي، ١٩٨٩ ص ٣٩).
٢. جلال الدين محمد بن محمد مولوي، مثنوي معنوي، تصحيح رينولد، ا، نيكلسون (طهران، هرمس، ٢٠٠٣م) الدفتر الاول، ص ١١٠.
٣. م ن، الدفتر الثاني، ص ٢٤٤.
٤. م ن، الدفتر الاول، ص ١١٠.
٥. م س، الدفتر الرابع، ص ٥٧٦.
٦. م ن، الدفتر الاول، ص ٢٢.
٧. م ن، الدفتر السادس، ص ١١٠٢، ولتذكر أن

(باعتبار المرأة شعاعاً من تجليات الحق تعالى) والتحمل المطلق (بوصفها جزءاً من الشر في العالم). وربما اتيح تسويغ هذا التنوع على النحو التالي:

١- نواجه احياناً وجهة نظر الشاعر التي نلاحظها في تعامل مع افراد اسرته من النساء كزوجته، وابنته، وزوجة ابنه، أو تلميذاته. ومثال ذلك بيت الشعر:

پرتو حق است آن، معشوق نيست

خالق است آن گوئيا مخلوق نيست

شعاع من نور الله هذه و ليست معشوقة، كأنما هي الخالق و ليست مخلوقة.

يقول عبدالباقى گوليبارلى بعد الاشارة ال هذه البيت و ابيات مماثلة: «يجب ان لانسي أن هذه الابيات الراضية لجنس النساء وتقيدهن والرامية الي اثبات تفوقهن، انشأت في القرن السابع الهجري، والحال اننا في القرن العشرين لانزال نرى من يريد حبس المرأة بين جدران البيت. الرومي كان يرى للمرأة تفوقاً ومزلة راقية. وقد اثبت من خلال حياته و سيرته ان آراءه وليده افكاره القويمة السليمة وليست نابغة من اهواء نفسية او شهوية...»^{٨٦}

٢- يستلهم الشاعر احياناً آيات القرآن ليدرجها ضمن ابياته الشعرية ومن ذلك ذكره لبلقيس، وآسيا أو ذمه لزوجته نوح.

٣- يلجأ الشاعر احياناً الى شرح التاريخ كما ورد، بلغة شعرية، ونموذج ذلك الحوار بين عائشة والرسول الاكرم(ص).

٤- يدرج الشاعر في بعض الاحيان احاديث تتعلق بالمرأة (سواء كانت صحيحة أو موضوعة) في ابياته كالاشارة الى مكر المرأة (حواء) في الهبوط بأدم الى الأرض أو ذم استشارة النساء و...

٥- ويعبر تارة عن تصورات المجتمع الذي عاصره والنظرة التي كانت سائدة يومئذ عن المرأة، وهي نظرة لم تكن بمعزل عن تأثيرات الاجواء العامة السائدة في سائر الارحاء.

٢٤. إن كيد الشيطان كان ضعيفاً.
٢٥. إن كيد كن عظيم.
٢٦. زماني، الدفتر السادس، ص ١١٤٦.
٢٧. اشارة الى الآية ٣٢ من سورة يوسف: قال رب السجن...
٢٨. الآيات ٣٦ و ٣٨ من سورة البقرة و الآية ٢٤ من سورة الاعراف (زماني، م س، المجلد ٦، ص ٧٣٣).
٢٩. زماني، المجلد السادس، ص ٧٣٤.
٣٠. الهبوط الأول هبوط جدنا آدم، و الثاني هبوط المرء من رحم المرأة الى سجن الدنيا(وقد تكون المرأة هنا كناية عن النفس الامارة بالسوء) (زماني، ج ٦، ص ٧٣٤).
٣١. منشوي، الدفتر السادس، ص ١٠٣٢.
٣٢. الآيات ٣٥ و ٣٦ من سورة البقرة.
٣٣. الآيات ٢٣ — ٢٠ من سورة الاعراف.
٣٤. الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح الثالث، ص ٦.
٣٥. منشوي، الدفتر السادس، ص ١١٠٢.
٣٦. زماني، م س، المجلد الاول، ص ٦٨٢.
٣٧. منشوي، المجلد الاول، ص ١٤٠.
٣٨. م س، ص ١٣٠.
٣٩. اعتبر العقل بعلاً والمرأة هي النفس والطمع. النفس والطمع كلهما ظلام وعممة ومنكر والعقل هو بمنزلة الشمعه النيره. راجع: موسي نشري، شرح المنشوي (طهران: كلاله خاور، ١٩٤٨) ص ١٩٥.
٤٠. منشوي، الدفتر الاول، ص ١١٩.
٤١. عبدالحسين زرین کوب، السلم المكسور (طهران، سخن، ٢٠٠٣)، ص ١٧٧.
٤٢. ورد هذا البيت ايضاً على النحو التالي:
عقل ما شو دان و زن اين نفس و طمع
اين دو ظلماني و منكر، عقل شمع
- القرآن يشير الى ان السبب الرئيس لمقتل هايبل على يد قاييل هو عدم قبول الله تبارك و تعالی القربان الذي قدمه قاييل. الآية ٢٧ من سورة المائدة.
٨. واهلة (زوج نوح) أي اهما عاكست مشروع الدعوة الربانية الذي اضطلع به نوح.
٩. م ن، ص ١٠٣٢.
١٠. حين نشير في بحثنا هذا الى نساء من هذا القبيل والى ابيات الرومي حولهن، فلأجل استخلاص تعريف المرأة وخصائصها من وجهة نظر الرومي.
١١. المنشوي، الدفتر الاول، ص ٣.
١٢. م ن، الدفتر الاول، ص ١٤٢.
١٣. م س، الدفتر الاول، ص ١٠٠، البيت ٢٤٣٧ تصحيح د. توفيق سبحاني.
١٤. كريم زماني، شرح جامع منشوي معنوي، المجلد الاول، (طهران، انتشارات اطلاعات، ٢٠٠٢م) ط ١٥٥، ص ١٠٢١.
١٥. منشوي، تصحيح سبحاني، ص ١٠٠.
١٦. شيرين بيان «المرأة والحياة العائلية لمولانا جلال الدين» المرأة و الثقافة، تحقيق محمدميرشكرايي، وعلي رضا حسن زاده (طهران، بي، ٢٠٠٣) ص ٤٦.
١٧. زماني، م س، ص ١٠٢٠.
١٨. م س.
١٩. زرین کوب، م س، ص ١٥.
٢٠. راجع مثلاً: زماني، شرح جامع منشوي، ص ٧١ - ٧٠.
٢١. سيد عطاءالله مهاجراني، تفسير حكاياة المنشوي (الملك و الجارية) محاضرة في البحرين، ايلول ٢٠٠٤.
٢٢. منشوي، الدفتر السادس، ص ١١٠٢.
٢٣. شرح المنشوي. د. سيدجعفر شهيدي، الدفتر ٦ (طهران: انتشارات علمي و فرهنگي، ٢٠٠١)، ص ٦٦٠.

٥٨. جميلة كديور، المرأة، ط ٣ (طهران، اطالعات ٢٠٠٢م)، ص ٥٩.
٥٩. صدرالدين الشيرازي، الحكمة المتعالية في الاسفار الاربعة، الجزء الثاني من السفر الثالث (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٠) صص ١٣٦-١٣٧.
٦٠. تفسير و نقد و تحليل المتنوي لجلال الدين محمد البلخي، ج ٢، الدفتر الاول، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.
٦١. شرح الجامع ملاهادي السبزواري، م س، الدفتر الثاني، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.
٦٢. شرح المتنوي، الدكتور جعفر شهيدى، ج ٨، الدفتر الثاني، ص ٤٤١.
٦٣. متنوي، الدفتر الثاني، ص ٢٧١.
٦٤. عليك ان ترى نفسك الامارة بالسوء كالمراة، بل اسوء من المراة، فالمرأة شر جزئي، و النفس الامارة بالسوء شركلي. زماني، ج ٢، ص ٥٦٢.
٦٥. وردت هذه الرواية باشكال عدة في كتب الحديث.
٦٦. نهج البلاغه، الرسائل، الرسالة رقم ٣١ (الى الامام الحسن، الفقرة ١١٦).
٦٧. كديور، م س، ص ١٣٥.
٦٨. متنوي، الدفتر السادس، ص ١١٠٢.
٦٩. متنوي، الدفتر الرابع، ص ٦٨٦.
٧٠. متنوي، الدفتر الثالث، ص ٥٢٩.
٧١. نهج البلاغه، الخطبة ٨٠، ص ١٣.
٧٢. القرآن الكريم، البقرة، الآية ٢٩.
٧٣. لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم، يس، الآية ٤.
٧٤. متنوي، الدفتر الرابع، ص ٦٢١.
٧٥. التفكير في العواقب علامة العقل، ومن تحلى بهذه السجية كان انساناً متكاملًا (زماني، ج ٤، ص ٤٧٦).
٧٦. الرجل الذي يعوزه التفكير في عواقب الامور أقل مرتبة ممن يفكرون في العواقب و هو في ذلك

- عقلنا هو البعل و المرأة اهواء النفس و اطماعها، هذان ظلمة و منكر، و العقل شعبة
- كمال الدين حسين بن حسن الخوارزمي، جواهر الاسرار و زواهر الانوار، المجلد ٢، شرح الدفتر الاول، تقديم و تصحيح و تهميش محمدجواد شريعت (اصفهان، مؤسسة مشعل اصفهان للنشر، ١٩٨٧)، ص ٣٩٠.
٤٣. متنوي، الدفتر الاول، ص ١٣٠.
٤٤. جواهر الاسرار و زواهر الانوار، م س.
٤٥. متنوي، ج ٦، ص ٩٧٦.
٤٦. زماني، ج ٦، ص ٤١٤.
٤٧. شاه داعي الله شيرازي، شرح متنوي معنوي، ج ١، تصحيح و تقديم محمد نذير رانجها (اسلام آباد، مركز تحقيقات فارسى ايران و پاكستان، ١٩٨٥) صص ٣٢٠ - ٣١٩).
٤٨. اصول كافي، ج ١، كتاب العقل والجهل (بيروت، دار صعب، دارالتعارف، ١٤٠١)
٤٩. النساء، الآية ٢١.
٥٠. النحل، الآية ٧٢.
٥١. الاحزاب، الآية ٣٥.
٥٢. السلم المكسور، ص ٢٣١.
٥٣. متنوي، الدفتر الاول، ص ١٣٢.
٥٤. م س.
٥٥. شاه داعي الى الله شيرازي، شرح متنوي معنوي، م س، ص ٣٢٨.
٥٦. شرح المتنوي، الحاج ملاهادي السبزواري، تحقيق الدكتور مصطفى بروجردي، ج ١، الدفتر الاول والثاني (طهران، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ١٩٩٥)، ص ١٧١.
٥٧. شرح المتنوي الشريف، بديع الزمان فروزانفر (طهران، انتشارات زوار، ١٩٩٢) ط ١، ص ١٢٢١ - ١٢٢٢.

- كالنساء وصاحب القامة، الحدياء لن يستطيع مشاهدة المسافات البعيدة كما هم اصحاب القامة المنتصبة انما يستطيع ان يرى امام قدميه وحسب. يرمي الرومي هنا الى التعبير عنه قصر النظر والافتقار الى الادراك والفهم الصحيح.
٧٧. جلال ستاري، صورة المرأة في الثقافة الايرانية (طهران، مركز، ١٩٩٦م)، ص ١٠٥.
٧٨. جعفري، ج ١٠، م س، ص ٢٤٨.
٧٩. الحجرات، الآية ٣.
٨٠. منشوي، دفتر السادس، ص ٩٩٤.
٨١. زماني، ج ٦، ص ٥٢١.
٨٢. زماني، ج ٥، ص ٦٧٦ - ٦٧٥.
٨٣. شرح كبير انقروي، ج ١٣، ص ٧٧٥.
٨٤. خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها. (الزمر/٦).
- هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن اليها. (الاعراف / ١٨٩).
- وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون (الانعام / ٩٨).
- يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها. (النساء/١).
٨٥. السيد محمد حسين فضل الله، الاسلام والدور الاجتماعي للمرأة، سيد مهدي علي زاده (موسوي)، نداء المرأة، العدد ٥٢، السنة ٥، صيف ١٩٩٦، ص ٣٥.
٨٦. عبد الباقي گوليپارلي، مولانا جلال الدين، حياته، فلسفته و مختارات من اعماله، ترجمه و شرح توفيق سبحاني (طهران: مؤسسه مطالعات تحقيقاتي فرهنگي محسن پاينده)، ص ١٩٨٨، ص ٣٦٧.
- ٣- اصول الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل. (بيروت: دار صعب، دارالتعارف، ١٤٠١)
- ٤- جلال الدين محمد بن محمد المولوي، منشوي معنوي، تصحيح رينولد، ا، نيكلسون (طهران: هرمس، ٢٠٠٣م).
- ٥- الكتاب المقدس.
- ٦- عبد الحسين زرين كوب، السلم المكسور، (طهران: سخن، ٢٠٠٣م).
- ٧- عبد الحسين زرين كوب، بحر في كوز (طهران: علمي، ١٩٨٩م).
- ٨- كريم زماني، الشرح الجامع للمنشوي المعنوي، ٧ مجلدات (طهران، اطلاعات، ٢٠٠٢م).
- ١٠- الحاج ملاهادي السبزواري، شرح المنشوي، تحقيق الدكتور مصطفى بروجردي (طهران، مؤسسه الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والاشارة الاسلامي، ١٩٩٥م).
- ١١- بديع الزمان فروزانفر، شرح المنشوي الشريف (طهران: زوار، ١٩٩٢م).
- ١٢- محمد تقى جعفري، تفسير و نقد و تحليل المنشوي لجلال الدين محمد البلخي (طهران: حيدري، ٤٩) ١٥م.
- ١٣- جعفر شهيدى، شرح المنشوي (طهران: انتشارات علمي و فرهنگي، ٢٠٠١)، ٨ مجلدات
- ١٤- موسى نثري، شرح المنشوي لمولانا جلال الدين محمدر البلخي الرومي (طهران: كلاله خاور، ١٩٤٨م).
- ١٥- كمال الدين حسين بن حسن الخوارزمي، جواهر الاسرار و زواهر الانوار، مجلدان، تقديم و هوامش محمد جواد شريعت (اصفهان: مشعل، ١٩٩٠م).
- ١٦- شاه داعي الله شيرازي، شرح منشوي معنوي، مجلدان، تصحيح و تقديم محمد نذير رانجها (اسلام آباد: مركز تحقيقات فارسى ايران و پاكستان، ١٩٨٥م).
- ١٧- صدرالدين الشيرازي، الحكمة المتعاليه في الاسفار الاربعه، ج ٢ من السفر الثالث (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٩٠م).

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة.

- ۱۸- جلال ستاری، صورة المرأة في الثقافة الايرانية (طهران، مركز، ۱۹۹۶م).
- ۱۹- رسوخ الدين اسماعيل انقروي، شرح كبير انقروي، ترجمة دكتور عصمت ستارزاده (طهران: زرین، ۱۹۹۴م)، المجلد ۱۳.
- ۲۰- السيد محمدحسين فضل الله، «الاسلام و الدور الاجتماعي للمرأة»، ترجمة مهدي علي زاده موسوي، مجلة پیام زن، العدد ۵۲، سنة ۵، صيف ۱۹۹۶م.
- ۲۱- جميلة كديور، المرأة، (طهران: اطلاعات، ۲۰۰۲م).
- ۲۲- شیرين بياني، «المرأة والحياة العائلية لمولانا جلال الدين» في (المرأة والثقافة)، (طهران، ن، ۲۰۰۳م).
- ۲۳- جميلة كديور، احلام المرأة في عالم الرجل، (طهران، اميد ايرانيان، ۲۰۰۵م).
- ۲۴- عبدالباقي گوليپارلي، نشر و شرح المثنوي الشريف، ترجمة وايضاحات توفيق ه. سبحاني (طهران، وزارة الثقافة الايرانية، ۱۹۹۵م).
- ۲۵- سيدعطاءالله مهاجراني، تفسير حكاية المثنوي (الملك والحارية)، محاضرة في البحرين، ايلول ۲۰۰۴م.
- ۲۶- عبدالباقي گوليپارلي، مولانا جلال الدين، حياته، و فلسفه و مختارات من اعماله، ترجمه و شرح توفيق سبحاني (طهران: مؤسسه مطالعاتي تحقيقاتي فرهنگي سخن پاييز، ۱۹۸۸).

زن در مثنوی

جمیله کدیور^۱

تاریخ دریافت: ۱۳۸۵ / ۲ / ۱۷

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۵ / ۸ / ۲۰

علی‌رغم نگاه ارزشمند و والای مولانا به زنان چه در زندگی خانوادگی خود (در قبال همسر، عروس و دختر) و چه در جامعه و به رغم بسیاری از اشعار نغز و پر نکته او پیرامون زنان (در قالب همسر، معشوق و مادر) در مثنوی، شاهد حکایتها و اشعاری هستیم که نه با دید مولانا در زندگی خانوادگی اش تناسب چندانی دارد و نه با اشعار دیگر او. با توجه به اینکه قرآن و حدیث دو منشأ عمده اشعار مولانا محسوب می‌گردند، به نظر می‌رسد اشعار مورد نظر بیش از آنکه متأثر (از) و یا متناسب (با) آیات قرآنی باشد، همسو با احادیث و روایات است که بتدریج در عرف زمانه خود را مستتر کرده است.

واژگان کلیدی: جنس و ماهیت زن، نفس، عقل، مکر، هبوط، مشورت، جهاد اکبر، شر

۱. عضو هیأت علمی دانشگاه الزهراء تهران، kadivar@maktuob.net